العتبة العباسية المقدسة

الخميس

أسبوعية ثقافية

السنة السادسة

العدد ٣١١

تخصص / ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ / آذار ٢٠١٢ م

تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

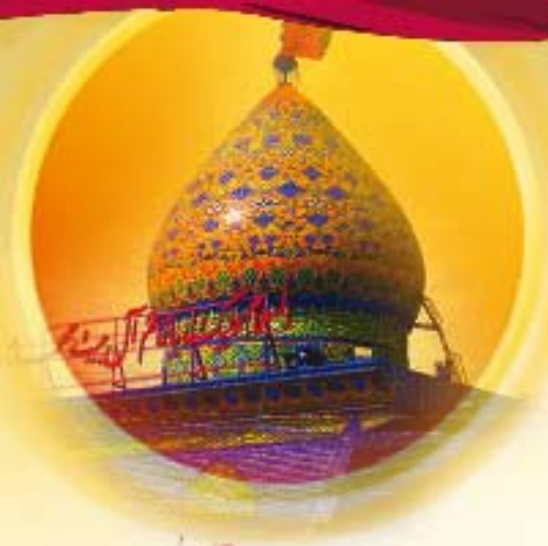

السلام على قائم أهل البيت

عجل الله تعالى فرجه الشريف

كلمة حق

الأدلة على أحقيّة الشيعة الإمامية في موضوع الإمامة والخلافة كثيرة جدًّا، وقد التفت إليها علماء السنة، وحاولوا توجيهها، غير الذي حذفوه منها؛ وذلك لأنّ الحكام المعارضين لأهل البيت (عليهم السلام) لا يستقر بهم القرار مع وجود تلك الأدلة التي تبيّن أنّ الإمامة والخلافة هي لآل محمد صلوات الله عليهم، ولذلك وجّه أولئك الحكام علماء زمانهم إلى إيجاد حل لتلك الروايات بشكل عام، فمنيت تلك الروايات إمّا بالحذف أو التحريف اللفظي أو المعنوي، وقد كان تركيز أولئك العلماء على الروايات الواردة في شأن الإمام علي والحسنين (عليهم السلام)؛ وذلك لأنّ أولئك الحكام كانوا يرون أنّ الصراع بينهم وبين الأئمة الموجودين في عصرهم من أهل البيت (عليهم السلام)؛ ولذا وجّه أولئك الحكام علماءهم إلى حذف أو تحريف أو توجيه كلّ تلك الروايات، التي تُبيّن مقام آل محمد صلوات الله عليهم، وحينها لم تسلم أيَّةُ رواية من تلك الحملة، فإمّا الحذف أو التحريف أو التوجيه، أو إيجاد ما يقابل تلك الروايات في غير آل محمد صلوات الله عليهم.. ولكنّ أولئك العلماء غفلوا بعض الشيء عن المساس بالروايات الواردة في المهدي (عجّل الله فرجه الشريف)؛ فقد سلمت هذه الروايات إلى حدٍّ ما من أيدي أولئك العلماء أتباع السلاطين، وبقيت هذه الروايات لتبيّن لنا شيئًا من وجه الحقيقة التي حاولوا طمسها وإخفاء ذكرها، ومن هنا يستطيع الباحث المنصف - من خلال النظر والتدبُّر في الروايات الواردة في المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه الشريف) - أن يعرف الفرقة الناجية، ونستطيع حقًّا أن نهتدي بالمهدي (عجّل الله فرجه الشريف) من هذه الناحية أيضاً؛ أي نهتدي بما ورد في موضوع المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه الشريف) من روايات لمعرفة الفرقة الناجية والعقيدة الصحيحة .

المستبصر يحي طالب مشاري الشريف

من شروط الدعاء

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر/ ٦٠

لقبول الدعاء شروط عديدة منها الأعمال الصالحة، فعن النبي ﷺ قال: (يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح).وقال ﷺ أيضاً: (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر). ومن شروط قبول الدعاء أن تدعو لأخيك بظهر الغيب؛ قال رسول الله ﷺ: (ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا وكّل الله به ملكًا يقول له : ولك مثل ما دعوت لأخيك). وقال النبي ﷺ أيضاً: (إذا دعا أحد فليعم فانه أوجب للدعاء ومن قدم أربعين رجلا من إخوانه قبل أن يدعو لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه).

ووردت روايات عديدة تذكر فضل الدعاء للمؤمنين وما فيه من الفوائد ، منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: (مَن أكرم مؤمنا فإنما يكرم الله ، ومن دعاء لأخيه المؤمن دفع الله عنه البلاء ودر عليه الرزق).

وهناك بعض الأعمال الصالحة التي إذا عملها المؤمن استجيب له دعاؤه كختم القرآن والصوم؛

قال الإمام الحسن عليه السلام: «من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة إما معجلة وإما مؤجلة».

وقال الإمام عليّ عليه السلام: (إذا نزل بالرجل الشدة والنازلة، فليصم فان الله يقول: ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ البقرة/١٥٣ والصبر الصوم)، وقال: (دعوة الصائم تستجاب عند إفطاره).

وقال رسول الله ﷺ : «لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم».

والدعاء هو نوع من أنواع العبادة يُثاب عليه المؤمن، فقد قال رسول الله ﷺ : «ما من مؤمن دعا الله سبحانه دعوة ، ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم ، إلاّ أعطاه الله بها أحد خصال ثلاث : إمّا أن يعجّل دعوته ، وإمّا أن يدّخر له ، وإمّا أن يدفع عنه من السوء مثلها» . قالوا : يا رسول الله ، إذن نكثر ؟ قال : (أكثروا).

شرح خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

قبل أن نبدأ بشرح بعض كلمات هذه الخطبة نجلب إنتباه القارئ الكريم إلى هذا التمهيد:

تدبر قليلاً لتتصور ولنعيش الحدث وأجواء ذلك المجلس الرهيب، ثم معجزة السيدة زينب الكبرى في موقفها الجريئ!

بالله عليك! أما تتعجب من سيدة أسيرة تخاطب ذلك الطاغوت بذلك الخطاب؟

وتتحداه تحدياً لا تنقضي عجائبه؟

ولا تهاب الحرس المسلح الذي ينفذ الأوامر بكل سرعة وبدون أي تأمل أو تعقل ؟!

وكذا الخوف على عيال أسارى بيد هذا الظالم له أن يهبهن لأي أحد من غلمانه الأوغاد.

والخوف على سليل النبوة والامام الحق علي بن الحسين عليه السلام ففي قتله تذهب الرسالة المحمدية وبذلك يكون يزيد حقق انتصاره.

يا ترى ماهي الأيدي الخفية وراء الدفع عن حرم رسول الله .عجبا إنها يد الله الذي قال الله سبحانه وتعالى (يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) ، وكذا ان الامام الحسين جعل الله سبحانه وتعالى حسبه حيث قال الله تعالى (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهِ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)

اي قدرة إلاهية وقفت في وجه يزيد إنها نفس القدرة التي خلصت موسى من الغرق في اليم ونفس القدرة التي خلصت إبراهيم من النار وجعلتها برداً وسلاماً.

وأعجب من ذلك سكوت يزيد أمام ذلك الموقف مع قدرته وإمكاناته؟

وكأنه عاجز لا يستطيع أن يقول شيئاً أو يفعل شيئاً!

وكأنه هو ليس بصاحب الموقف وبسكوته هذا بين للناس جميعا أنه هو المنكسر.

أليس من العجيب أن يزيد - وهو طاغوت زمانه، وفرعون عصره - لم يستطع أو لم يتجرأ على أن يرد على السيدة زينب كلامها، بل يشعر بالعجز والضعف عن مقاومة السيدة زينب، ويكتفي بقراءة قول الشاعر: (يا صيحة تحمد من صواتح)!

فما معنى هذا البيت في هذا المقام ؟!

وما المناسبة بين هذا البيت وبين كلمات خطبة السيدة زينب؟.

فهل كانت حرفة السيدة زينب النياحة حتى ينطبق عليها قول يزيد : (ما أهون النوح على النوائح) ؟.وما يدرينا مدى ندم يزيد بن معاوية من مضاعفات جرائمه التي ارتكبها ؟ وخاصة تسيير آل رسول الله من العراق إلى الشام .فإنه - بالقطع واليقين - ما كان يتصور أن سيدة أسيرة سوف تغمسه في بحار الخزي والعار، فلا يستطيع يزيد أن يغسل عن نفسه تلك الوصمات . . إلى يوم القيامة .وتكشف الغطاء عن هوية يزيد ، وترفع الستار عن ماهيته وأصله ، وحسبه ونسبه ، وسوابقه ولواحقه ، وتخاطبه بكل تحقير، وتقرع كلماتها مسامع يزيد ، وكأنها مطرقة كهربائية ، ترتج منها جميع أعصابه ، فيعجز عن كل مقاومة ! !

والآن إليك شرحاً موجزاً لبعض كلمات هذه الخطبة الحماسية الملتهبة :

(الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جدي سيد المرسلين).إفتتحت كلامها بحمد الله رب العالمين ، ثم الصلاة على جدها : سيد المرسلين ، فهي - بهذه الجملة - عرفت نفسها للحاضرين أنها حفيدة رسول الله سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يعرف الحاضرون أن هذه العائلة المسبية الأسيرة هي من ذراري رسول الله، لا من بلاد الكفر والشرك .

ثم قرأت السيدة هذه الآية :(صدق الله سبحانه ، كذلك يقول : (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ).وما أروع الإستشهاد بها ، وخاصة في مقدمة خطبتها ! !

وعاقبة كل شيء: آخره، أي: ثم كان آخر أمر الذين أساؤا إلى نفوسهم - بالكفر بالله وتكذيب رسله ، وارتكاب معاصيه - السوئى ، أي : الصفة التي تسوء صاحبها إذا أدركته، وهي عذاب النار.

(أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) أي: بسبب تراكم الذنوب والمعاصي في ملف أعمالهم حصل منهم التكذيب بآيات الله والحقائق الثابتة، وظهر منهم الإستهزاء بها وبالمقدسات الدينية.

وهي (عليها السلام) تشير بكلامها - هذا - إلى تلك الأبيات التي قالها يزيد: (لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل).

ومعنى هذا البيت من الشعر : أن بني هاشم - والمقصود من بني هاشم : هو رسول الله - لعب بالملك بإسم النبوة والرسالة ، والحال أنه لم ينزل عليه وحي من السماء ، ولا جاؤه خبر من عند الله تعالى.فتراه ينكر النبوة والقرآن والوحي ! !

وهل معنى الكفر والزندقة إلا هذا ؟ !.

إعداد / علاء الاسدي

كيف نحيي صلاة خاشعة

السجود على التربة الحسينية: هذه التربة قبل يوم عاشوراء، لم تكن فيها قداسة؛ لأنها لم تُضمّخ بدم الحسين عليه السلام.. فنقول في الزيارة: طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم!.. إن الذي يستنكر مبدأ التشرف، ومبدأ المباركة، والذين ينكرون أن تربة الحسين لا خصوصية فيها.. كيف يفسرون السكينة والطمأنينة التي وضعت في تابوت موسى ﴿يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.. هذا التابوت لم يُدفن فيه موسى، وإنما كان طفلاً صغيراً رضيعاً وضع في التابوت، وأُلقي في اليم بأمر الله عز وجل، فهي خشبة لامست بدن موسى وهو طفل، ولم يكن نبياً ولا شهيدا، وإذا القرآن الكريم يقول: ﴿يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ كرامةً لهذا البدن الذي لامس ..ويعقوب عليه السلام ﴿..ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، فلا أمل في عودة عينيه، فهو لم يصب بالرمد ليشفى من ذلك، ولكن العين فقدت القابلية، وإذا بقميص يوسف يلقى على وجه أبيه فيرتد بصيراً.. هذا القميص من القطن أو الكتان لا خصوصية فيه، ولكن لامس جيد نبي من أنبياء الله عز وجل.

- لماذا ميّز الحسين -عليه السلام- بهذه الميّز الثلاث؟.. الشفاء في تربته، الأئمة من نسله، والدعاء مستجاب تحت قبته.. ألم يكن الإمام الحسن عليه السلام سيداً من سادة أهل الجنة، أليس سبطاً من الأسباط، أليس ريحانة رسول الله؟..

- إن الإنسان المؤمن لا يبلغ الدرجات الكمالية إلا بالتمحيص، فالإنسان الذي لا يتحمل أي بلية في حياته، لا يصل إلى درجة، الدنيا دار ابتلاء -الناس يطلبون الراحة في الدنيا وقد جعلتها في الآخرة – الحسين -عليه السلام- كانت لديه منزلة عند الله، لا يبلغها إلا بالشهادة.. وزينب -عليها السلام- عالمة غير معلمّة، ولكن لها منزلة عند الله لم تبلغها إلا بالسبي.. وكذلك العباس عليه السلام له منزلة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن لعمي العباس بن علي منزلة، يغبطها عليه جميع الشهداء يوم القيامة).

- إن الذين يريدون أن يعيشوا وإيمانهم سطحي، يوم القيامة يدخلون في ربض الجنة.. فيوم القيامة بعض الناس يدخل الجنة مستأجراً، ويكون من ضيفان أهل الجنة، وله ملحق في قصور أحد المؤمنين يعيش أبد الآبدين.. لماذا لا نرفع الهمة ونكون بجوار النبي وآله، فالبعض مع رسول الله كهاتين، والبعض يعيش في ملحق من ملاحق أهل الجنة. إذن، الدرس من التربة الحسينية أن نتحمل شيئا من الأذى في سبيل الله عز وجل ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

- وأخيراً: مسجد المرأة بيتها، بعض الفتاوى الحديثة تقول: مسجد المرأة بيتها بالعنوان الأولي، ولكن إذا وجد في المسجد عنوان آخر، كتعليم الدين كالثقافة كالتفقه فيما يلزم الفتاة أو المرأة المؤمنة، فعلى الإنسان أن ينظر بمنظار آخر في هذا المجال.

- من الآداب أيضاً التطيب.. فالإنسان بإمكانه في زجاجة عطر لا تتجاوز قيمتها دينار واحد، أن يربح يوم القيامة مقامات لا توصف.. فصلاة المتطيب سبعين ضعف صلاة الإنسان غير المتطيب.

الساتر: هناك تأكيد على ستر العورة في الصلاة، إذ لا بد من ستر هذا الجزء من البدن، لأنه لا يستحسن إظهاره.. وكذلك فإن باطن الإنسان له عورات، يستقبح إظهارها، فليحاول أن يسترها بساتر.. ومن العورات التي يبتلى بها المؤمنون كثيراً عورة الغضب والحدة.. فالمؤمن لا يخلو من حدة، والمفروض عكس ذلك.. فها هو أحد النصارى يشتم الإمام محمد الباقر عليه السلام قائلاً له: أنت بقر، فيرد عليه السلام عليه: «أنا باقر»، فيقول: أنت ابن الطباخة، فيرد عليه السلام: «ذاك حرفتها»، فيقول: أنت ابن السوداء الزنجية البذية، فيرد عليه السلام: «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك». فما كان من النصراني أن أسلم لما رأى عظيم أخلاق الإمام عليه السلام.

- فإذاً، إن الإنسان في صلاته يستر عورته، أما العورة الباطنية، فبالإمكان أن تعدم، حيث من الممكن أن يصل الإنسان إلى مستوى لا يكون له عورة في الباطن.. ولو كشف عنه الغطاء؛ لما كشف عن شيء يشين باطنه.. فالدرجة العالية ليس هو ستر العورات الباطنية، ولكن هو محو تلك العورات.. بحيث لو كشف الباطن للآخرين، لا يرون إلا الجميل.

الحجاب

الحلقة الثانية

في التاريخ كانت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) جالسة عند ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اذ استأذن عليه ابن مكتوم - وكان رجلا أعمى قد فقد بصره - وقبل ان يدخل على النبي صلى الله عليه وآله قامت فاطمة الزهراء (عليها السلام) وغادرت الغرفة وعندما انصرف ابن مكتوم عادت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لتدخل على ابيها مرة ثانية...

وهنا سألها النبي صلى الله عليه وآله عن سبب خروجها من الغرفة مع العلم ان ابن مكتوم لا يبصر شيئا ...

سألها النبي صلى الله عليه وآله عن السبب - وهو يعلم ذلك - لكي تجيب بدورها على هذا السؤال ويكتب التاريخ هذا الحوار الايماني ليبقى مثالا رائعا طوال الحياة.

فقالت (عليها السلام) : ان كان لا يراني فإنني اراه ، وهو يشم الريح - اي يشم رائحة المرأة -

فأعجب النبي الاكرم صلوات الله عليه وعلى آله بهذا الجواب - الذي يتفجر عفة وشرفا - من ابنته الحكيمة ، ولم يعاتبها على هذا الالتزام الشديد بالحجاب ، بل شجعها وأيدها وقال لها : أشهد انك بضعة مني .

•في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لما ارادت السيدة الزهراء (عليها السلام) أن تخطب في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - تلك الخطبة التاريخية - ضربوا لها ستارا في المسجد ، فجلست (عليها السلام) مع نساء قومها في جانب ، بينما جلس الرجال وهم من المهاجرين والانصار في الجانب الاخر وكان هذا الستار يحمل عدة معان : فهو من جانب : تطبيق لقانون الحجاب ، حيث انه حائل وفاصل بين الجنسين.

ومن هناك ... من خلف الستار ... انطلقت السيدة الطاهرة عليها السلام لتلقي تلك الخطبة الرائعة التي تعتبر آية من آيات الله البالغة ، من حيث العلم والحكمة وسمو المعنى والفصاحة والبلاغة.

وجدير بكل مسلم ومسلمة ان يقرأ تلك الخطبة ، ويتأمل بنودها ونقاطها ولكي تنفتح له آفاق واسعة في سماء العلم والايمان .

: هذه ثلاثة نماذج من حياة سيدة نساء العالمين ، والمرأة المثالية في الاسلام ، والقدوة الصالحة : السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ويجدر بك ان تستلهمي منها دروس الكرامة والحياء ، وتجعلي من نفسكِ امرأة صالحة ملتزمة بالإسلام وأحكام القرآن .

•والعنوان الثاني للحجاب هو رفض التبرّج،

فلقد قال تعالى: ﴿ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى﴾ الأحزاب: ٣٣ ،

فلا يجوز للمرأة التي تخرج محجبة من ناحية ستر ما يجب ستره، أن تظهر متبرجة بالمساحيق التي تزيّن بها وجهها أو يديها أو بأدوات الزينة ومظاهرها التي تلبسها، أو في تفاصيل الثياب التي قد تعطي للجسد زينة بطريقة معينة وما إلى ذلك مما يعتبر نوعاً من أنواع التبرج الذي يبدي أنوثة المرأة بشكل صارخ بدلاً من أن يبدي إنسانيتها الطبيعية في الواقع العام.

ولا نستطيع أن نحدِّد حداً تفصيلياً للزينة، ولكن العرف العام يفهم ما معنى الزينة وما معنى التبرّج، إنه الوضع غير الطبيعي الذي تظهر به المرأة كما لو كانت تعرض نفسها وجمالها على نظرات الناس

إن الإسلام يريد للمرأة أن تخرج بثيابها الخاصة تماماً كما يخرج الرجل بثيابه الخاصة، فلا تكون المجتمعات المختلطة ساحة من ساحات عرض الأزياء أو الزينة أو الإثارة.

حيدر الحكيم

الشيعة في موريتانيا

(الحاج حمزة المشهداني)

ان الدولة الموريتانية كبقية دول شمال افريقيا يسود فيها المذهب المالكي وربما يتميز المجتمع الموريتاني بانه مجتمع محافظ بدوي السمة التي تلوح فيها الفطرة والتوجه الأسلامي الملتزم ..وفي فترة متأخرة تسللت بكتريا الوهابية تحت غطاء المساعدات المادية مستغلين حالة العسر والعوز في هذا المجتمع .. ودوام الحال محال فلابد ان تصل اشراقات النور الى كل عتمة لتزيل سجف الظلام وبدأ أبناء هذا البلد البحث عن وضوح الصورة والنهج القويم .. ودخلت عقيدة الحق .. مذهب اهل البيت عليهم السلام الى المجتمع الموريتاني فوجد في الاساس هناك ارضا خصبة مهيأة كونهم يحملون صفة الولاء الصادق لبيت النبوة الطاهر .. ورغم صعوبة الحصول على انباء تقيم لنا الحالة الا اننا نملك اقوى واهم المصادر الموثوقة ..مصدر المعلومات الداعية الشيعي السيد بكار بن بكار المتربع على الواجهة يقول ان التشيع بدأ ينتشر بصورة ملحوظة في موريتانيا ويشير الى ان انتشار التشيع في هذا البلد يعتبر الثاني بعد دولة نيجريا علما ان الحالة لازالت تفتقر الى الأسس والقواعد التي تجمع هؤلاء الموالين للبيت الطاهر وأعني المؤسسات الدينية .. الحوزة .. الحسينيات .. المعاهد لكنها بداية خير والأمور ستكتمل لاحقا وخاصة ان هؤلاء الموالين ينتشرون على امتداد الارض الموريتانية وباعداد تصل الى عشرات الألوف فلابد ان جهد هذا الجمع سيضع ما تستدعيه الحالة لتظهر الصورة اكثر وضوحا وخاصة أن انظارهم تتوجه الى مثوى باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه واله النجف الاشرف عاصمة العلم والمعرفة وأختم هذه السطور بهذه الابيات التي ارسلها الشاعر الموريتاني احمد دولة بن محمد الى امامة سيد الاوصياء ..

سلام على ذاك الضريح الذي به ... جمال علا ذاك الضريح جلال

علي جبل تحت التراب موسد ... وما عهدت تحت الرمال جبال

تضمنت علم الاقدمين وحكمهم ... ونائلهم والقائمات طوال

فكم لقن الطلاب خلقا موطأ ... وكم نهلت مما يفيض نهال

تبارك علام الغيوب مثيبه ... فليس له في الخافقين مثال

احمد السيلاوي

بس دقيقة

كنت أقف في دوري على شباك التذاكر لأشتري بطاقة سفر في الحافلة إلى مدينة تبعد حوالي ٣٣٠ كم، وكانت أمامي سيدة عمرها يتجاوز ستين سنة وصلت إلى شباك التذاكر وطال حديثها مع الموظفة التي قالت لها في النهاية: الناس ينتظرون، أرجوك تنحَي جانباً. فابتعدت المرأة خطوة واحدة لتفسح لي المجال، وقبل أن أشتري بطاقتي سألت الموظفة عن المشكلة، فقالت لي بأن هذه المرأة معها ثمن بطاقة السفر وليس معها يورو واحد قيمة بطاقة دخول المحطة، وتريد أن تنتظر الحافلة خارج المحطة وهذا ممنوع. قلتُ لها: هذا يورو وأعطها البطاقة. وتراجعتُ قليلاً وأعطيتُ السيدة مجالاً لتعود إلى دورها بعد أن نادتها الموظفة مجدداً.

اشترت السيدة بطاقتها ووقفت جانباً وكأنها تنتظرني، فتوقعت أنها تريد أن تشكرني، إلا أنها لم تفعل، بل انتظرتْ لتطمئن إلى أنني اشتريت بطاقتي وسأتوجه إلى ساحة الانطلاق، فقالت لي بصيغة الأمر: احمل هذه... وأشارت إلى حقيبتها.

كان الأمر غريباً جداً بالنسبة لهؤلاء الناس الذين يتعاملون بلباقة ليس لها مثيل. بدون تفكير حملت لها حقيبتها واتجهنا سوية إلى الحافلة، ومن الطبيعي أن يكون مقعدي بجانبها لأنها كانت قبلي تماماً في الدور.

حاولت أن أجلس من جهة النافذة لأستمتع بمنظر تساقط الثلج الذي بدأ منذ ساعة وأقسم بأن يمحو جميع ألوان الطبيعة معلناً بصمته الشديد: أنا الذي آتي لكم بالخير وأنا من يحق له السيادة الآن! لكن السيدة منعتني و جلستْ هي من جهة النافذة دون أن تنطق بحرف، فرحتُ أنظر أمامي ولا أعيرها اهتماماً، إلى أن التفتتْ إلي تنظر في وجهي وتحدق فيه، وطالت التفاتتها دون أن تنطق ببنت شفة وأنا أنظر أمامي، حتى إنني بدأت أتضايق من نظراتها التي لا أراها لكنني أشعر بها، فالتفتُ إليها.

عندها تبسمتْ قائلة: كنت أختبر مدى صبرك وتحملك.

- صبري على ماذا؟

- على قلة ذوقي. أعرفُ تماماً بماذا كنتَ تفكر.

- لا أظنك تعرفين، وليس مهماً أن تعرفي.

-حسناً، سأقول لك لاحقاً، لكن بالي مشغول كيف سأرد لك الدين.

- الأمر لا يستحق، لا تشغلي بالك.

-عندي حاجة سأبيعها الآن وسأرد لك اليورو، فهل تشتريها أم أعرضها على غيرك؟

- هل تريدين أن أشتريها قبل أن أعرف ما هي؟

- إنها حكمة. أعطني يورو واحداً لأعطيك الحكمة.

- وهل ستعيدين لي اليورو إن لم تعجبني الحكمة؟

- لا، فالكلام بعد أن تسمعه لا أستطيع استرجاعه، ثم إن اليورو الواحد يلزمني لأنني أريد أن أرد به دَيني.

أخرجتُ اليورو من جيبي ووضعته في يديها وأنا أنظر إلى تضاريس وجهها. لا زالت عيناها جميلتين تلمعان كبريق عيني شابة في مقتبل العمر، وأنفها الدقيق مع عينيها يخبرون عن ذكاء ثعلبي. مظهرها يدل على أنها سيدة متعلمة، لكنني لن أسألها عن شيء، أنا على يقين أنها ستحدثني عن نفسها فرحلتنا لا زالت في بدايتها.

أغلقت أصابعها على هذه القطعة النقدية التي فرحت بها كما يفرح الأطفال عندما نعطيهم بعض النقود وقالت: أنا الآن متقاعدة، كنت أعمل مدرّسة لمادة الفلسفة، جئت من مدينتي لأرافق إحدى صديقاتي إلى المطار. أنفقتُ كل ما كان معي وتركتُ ما يكفي لأعود إلى بيتي، إلا أن سائق التكسي أحرجني وأخذ مني يورو واحد زيادة، فقلت في نفسي سأنتظر الحافلة خارج المحطة، ولم أكن أدري أنه ممنوع. أحببتُ أن أشكرك بطريقة أخرى بعدما رأيت شهامتك، حيث دفعت عني دون أن أطلب منك. الموضوع ليس مادياً. ستقول لي بأن المبلغ بسيط، سأقول لك أنت سارعت بفعل الخير ودونما تفكير.

قاطعتُ المرأة مبتسماً: أتوقع بأنك ستحكي لي قصة حياتك، لكن أين البضاعة التي اشتريتُها منك؟ أين الحكمة؟

- "بَسْ دقيقة"-. سأشرح لك: "بس دقيقة"، لا تنسَ هذه الكلمة. في كل أمر تريد أن تتخذ فيه قراراً، عندما تفكر به وعندما تصل إلى لحظة اتخاذ القرار أعط نفسك دقيقة إضافية، ستين ثانية. هل تعلم كم من المعلومات يستطيعَ دماغك أن يعالج خلال ستين ثانية؟ في هذه الدقيقة التي ستمنحها لنفسك قبل إصدار قرارك قد تتغير أمور كثيرة، ولكن بشرط.

- وما هو الشرط؟

- أن تتجرد عن نفسك، وتُفرغ في دماغك وفي قلبك جميع القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية دفعة واحدة، وتعالجها معالجة موضوعية ودون تحيز، فمثلاً: إن كنت قد قررت بأنك صاحب حق وأن الآخر قد ظلمك فخلال هذه الدقيقة وعندما تتجرد عن نفسك ربما تكتشف بأن الطرف الآخر لديه حق أيضاً، أو جزء منه، وعندها قد تغير قرارك تجاهه. إن كنت نويت أن تعاقب شخصاً ما فإنك خلال هذه الدقيقة بإمكانك أن تجد له عذراً فتخفف عنه العقوبة أو تمتنع عن معاقبته وتسامحه نهائياً. دقيقة واحدة بإمكانها أن تجعلك تعدل عن اتخاذ خطوة مصيرية في حياتك لطالما اعتقدت أنها هي الخطوة السليمة، في حين أنها قد تكون كارثية. دقيقة واحدة ربما تجعلك أكثر تمسكاً بإنسانيتك وأكثر بعداً عن هواك. دقيقة واحدة قد تغيرمجرى حياتك وحياة غيرك، وإن كنت من المسؤولين فإنها قد تغيرمجرى حياة قوم بأكملهم... هل تعلم أن كل ما شرحته لك عن الدقيقة الواحدة لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة؟

- صحيح، وأنا قبلتُ برحابة صدر هذه الصفقة وحلال عليك اليورو.

- تفضل، أنا الآن أردُ لك الدين وأعيد لك ما دفعته عني عند شباك التذاكر. والآن أشكرك كل الشكر على ما فعلته لأجلي.

أعطتني اليورو. تبسمتُ في وجهها واستغرقت ابتسامتي أكثر من دقيقة، لأنتبه إلى نفسي وهي تأخذ رأسي بيدها وتقبل جبيني قائلة: هل تعلم أنه كان بالإمكان أن أنتظر ساعات دون حل لمشكلتي، فالآخرون لم يكونوا ليدروا ما هي مشكلتي، وأنا ما كنتُ لأستطيع أن أطلب واحد يورو من أحد.

- حسناً، وماذا ستبيعيني لو أعطيتك مئة يورو؟

- سأعتبره مهراً وسأقبل بك زوجاً.

علتْ ضحكتُنا في الحافلة وأنا أمثّلُ بأنني أريد النهوض ومغادرة مقعدي وهي تمسك بيدي قائلة: اجلس، فزوجي متمسك بي وليس له مزاج أن يموت قريباً!

وأنا أقول لها: "بس دقيقة"، "بس دقيقة"...

لم أتوقع بأن الزمن سيمضي بسرعة. كانت هذه الرحلة من أكثر رحلاتي سعادة، حتى إنني شعرت بنوع من الحزن عندما غادرتْ الحافلة عندما وصلنا إلى مدينتها في منتصف الطريق تقريباً.

قبل ربع ساعة من وصولها حاولتْ أن تتصل من جوالها بابنها كي يأتي إلى المحطة ليأخذها، ثم التفتتْ إليَ قائلة: على ما يبدو أنه ليس عندي رصيد. فأعطيتها جوالي لتتصل. المفاجأة أنني بعد مغادرتها للحافلة بربع ساعة تقريباً استلمتُ رسالتين على الجوال، الأولى تفيد بأن هناك من دفع لي رصيداً بمبلغ يزيد عن ١٠ يورو، والثانية منها تقول فيها: كان عندي رصيد في هاتفي لكنني احتلتُ عليك لأعرف رقم هاتفك فأجزيكَ على حسن فعلتك. إن شئت احتفظ برقمي، وإن زرت مدينتي فاعلم بأن لك فيها أمّاً ستستقبلك. فرددتُ عليها برسالة قلت فيها: عندما نظرتُ إلى عينيك خطر ببالي أنها عيون ثعلبية لكنني لم أتجرأ أن أقولها لك، أتمنى أن تجمعنا الأيام ثانية، أشكرك على الحكمة واعلمي بأنني سأبيعها بمبلغ أكبر بكثير.

ما هي النظرة الصحيحة لمسألة اللقاء بالإمام، وتمني هذا اللقاء؟.. وهل هو ممكن؟.. ولمن؟.. وهل هي أمنية أو أمر يمكن تحقيقه؟.. مبدئيا نحن لا ننكر أن الإمام عليه السلام في زمان الغيبة له إشرافه وله عنايته، وله لقاؤه وتفقده بمحبيه، والمتورطين من شيعته.. وهذه القصص الكثيرة على اختلاف مضامينها، فإنها تدل على هذه الحقيقة.. وأبطالها هم المراجع، والصلحاء، والعلماء.. فلا يمكن خلال ألف سنة من هذه القصص المتعددة، ويأتي من ينكر ذلك.. وأما حديث: (من ادعى الرؤيا فكذبوه) المراد بذلك دعوى السفارة، والارتباط المباشر والمرتب.. كارتباط السفراء الأربعة في زمان الغيبة الصغرى.

إن اللقاء بالإمام عليه السلام يمكن أن يتصور على أشكال، ولا بأس في التفصيل في نقاط مختصرة، كيف يمكن أن يكون هذا اللقاء؟..

أولا: هنالك صنف من الناس يتمنى اللقاء كمزية فردية: أي أمنيته أن يلتقي بشخصية عظيمة غائبة.. ومن منا لا يحب اللقاء بالعظماء؟!.. ولعل هناك في باطنه دواعي خفية من الشوب الشركي، فيقول: إذا التقيت بالإمام أطرح له مشاكلي.. وبالتالي، فإن هذا اللقاء يكون سلما، للحصول على مزايا فردية.

ثانيا: وهناك صنف من الناس يحب أن يفتخر بلقاء الإمام: أي إظهار هذا الفخر.. فيقول: لو علم الناس أنني التقيت به، فإنه سيكون لي شأن من الشأن.. وهذا أيضا من الشوائب الشركية في النفوس.

ثالثا: وهناك قسم من الناس، يتمنى هذا اللقاء؛ لأن اللقاء علامة على المقبولية لديه.. فلا يريد أن يفتخر بذلك، ولا يريد أن تقضى حوائجه.

فالذي يريد أن يتشرف بهذا اللقاء المبارك -دعنا عن أصحاب المشاكل!.. فالإمام طوال زمان الغيبة، يتفقد المتورطين المستغيثين به، ولو كانوا على مستوى متعارف من التقوى.. وليست كل قصص اللقاء، تدل على شرافة أصحابها.. فإن البعض قد وقع في مأزق، فاستغاث بالله عز وجل، وجعل وليه شفيعا.. فالإمام كجده أمير المؤمنين عليه السلام لا يتحمل صيحة: وأسلماه!.. واغوثاه!.. وإماماه!.. فيأتي ويغيث.. فإذن، إن هذا ليس علامة على القرب دائما- من الخواص، ومن العلماء، وممن يتشبه بالعلماء في هذه الصفة، فإنه يقول: يا رب!.. إذا أردت أن ألتقي به، فلا بد من أن أمتلك عينا لائقة، غضت عن الحرام، واستقصرت عما مضى، وبنت على الاستقامة.. وإذا أردتُ أن أتكلم مع الإمام، هل أتكلم معه بهذا اللسان، الذي يتكلم في كل ما هب ودب، وفي كل رطب ويابس؟.. حاشى لهذا اللسان أن يكون له شرف المواجهة!.. وهل أسلّم على الإمام بيد صافحت محرما؟.. أو مُدت لضرب بريء؟.. فهذه اليد لا تليق بذلك.. فكيف أتمنى أن ألتقي مع الإمام، وأنا أملك قلبا متوغلا في حب الدنيا، ويعشق الحرام والهوى؟..

وعليه، فإن الذي يتمنى اللقاء بالإمام في زمان الغيبة، هذا الصنف لسان حاله يقول: يا رب العالمين!.. هب لي هذه اللياقة، وشرفني بجارحة وجانحة متناسبتين مناسبين لهذا اللقاء العظيم.

إن قصة علي بن مهزيار من قصص اللقاء المعبرة، وعندما يقرأ الإنسان هذه القصة، فإنه يعيش في عالم آخر.. يقول هذا الرجل:

(حججت عشرين حجّةً كُلاً أطلب به عيان الإمام).. فهو قد سمع عن الإمام، وذُكر له.. ولكن أين العيان، أو المشاهدة من الاستماع؟.. فتمنى أن يرى إمام زمانه أمامه حيا حاضرا ناظرا.. (فلم أجد إلى ذلك سبيلاً).. عشرون حجة من حجج تلك الأيام، وكل حجة مشروع سفر إلى الآخرة، أي قد يرجع إلى أهله، وقد لا يرجع.. (فبينا أنا ليلة نائمٌ في مرقدي إذ رأيت قائلاً يقول: يا علي بن إبراهيم!.. فلم أعقل ليلتي حتى أصبحتُ فأنا مفكّرٌ في أمري، أرقب الموسم ليلي ونهاري).. فهذا المنام كان قبل موسم الحج، فأخذ يترقب الليالي والأيام متى موسم الحج.

(فلما كان وقت الموسم، أصلحت أمري وخرجت متوجّهاً نحو المدينة.. فما زلت كذلك حتى دخلتُ يثرب، فسألتُ عن آل أبي محمد عليه السلام).. أي عن أولاد الإمام العسكري عليه السلام.. (فلم أجد له أثراً ولا سمعتُ له خبراً.. فأقمت مفكّراً في أمري).. كان صاحب القصة في عصر مقارب لعصر الإمام العسكري عليه السلام.. والغيبة لم تكن طويلة، وهذه هي الأشواق.. وحقيقة حق لنا أن نزداد شوقا متناسبا مع هذه المدة الزمنية الطويلة.

للقصة بقية

الخميس
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زورونا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا.. الهاتف / بدالة ٣٢٣٦٠٠ داخلي ١٦٢
تحرير: السيد محمد العطار
تصميم واخراج: احمد السيلاوي